

شيخ الذكريات

عاد الخريفُ يا قلبُ
وعاد الحنينُ
وذكرياتُ أمسِ عادتُ
كأهل الكهفِ صَحَتْ وقامتُ
بعد نومِ سنينُ

وجاءتُ تسألني
مُذنباً تحسبني
عن يازور تُسألني
عن شوارعها العتيقة
عن أزقتها
وحواريها الأنيقة
عن أطفالها
أغانيها
وليالي السمر في لياليها

عن بيارتنا تسألني
عن الصُّبار يُزينها
ويحميها
وندى الصبحِ يُعطرُها
بالحبِ يرُويها

تُسألني عن هروبِ العصافير
واختفاء شجيرات التوت والتين

موت أشجار البرتقال
وجفاف عطر البرتقال
وزهر الياسمينُ

عن غياب حنونة الوادي
قبور أجدادي
وشذى الرياحينُ
عن مصير الزوار
شجيرات العوسج
وأصوات المقرئينُ

تسألني عن دارنا
عن أمي وأبي
جدتي وخالتي
وأولاد حارتي
ومواويل الشوق الحزينُ

قلت لها يا قلب
أبي الحبيب مات
هناك
في غربتهِ
بحسرتِه
يُعذبهُ الشوقُ
يواعدهُ الأمل
يواسيهُ الحنينُ

أبي مات قبل عودتهِ

لييارته
لقريته
مرايع طفولته
شهما لا يلينُ
مؤمناً بالقدر
على العهد أمينُ

عادت ذكريات الأمس مُضطرة

تطوي السنينُ
تجولُ في رأسي حيارى
تترنخُ في صدري سُكاري
تسألني عن الزمان
عن المكان
عن رفاق الأمس
ومجالس الأمس
وأغاني الشوق
لأمس ذلك الأمس
وأمجاد الأقدمينُ

تقول باكية
أهذه هي حقاً بلادي
أرضُ أجدادي
ارثُ أولادي
أملُ أحفادي
وطني فلسطينُ

عاد الخريف يا قلب

وعاد الحنينُ
وذكرياتِ الأَمسِ عادتِ
تُذكرني
بعهدِ قديمِ
لم يُعدْ يذكرني
بعمرِ فنيّ
لم يَعُدْ يَعْرِفني
ذكرياتِ جميلةِ حزينةِ
طوتها السنينُ

تذكرني بصبي شقي
أحب العصافير
والسهر مع القناديل
وشاعرُ الربابةِ يروي الأساطيرُ
حكاياتِ أمجادٍ وأشجانِ
تتغني بحبِ فلسطينِ

ذكرياتِ طفولةٍ بريئةٍ
عاشتْ حُلماً جميلاً
وماتتْ موتاً شنيعاً
على يدِ المعتدينِ
وغدتْ وعداً أميناً
حزينِ
كِرَجَعِ الأَينِ

عادتْ ذكرياتُ الأَمسِ
بعد أن شاختْ

وخلتها تاهتْ
وغاصت في بطن السنينْ

أشباحاً تُهددني
دوماً تُطارِدني
بالاعتراف تُطالبني
مذنباً تحسبني
ليلي نهاري تُلاحقني
لا تفارقني

تُسائلني
عن الغضبِ في عيني
عن الحزن في قلبي
عن كتبي وأشعاري
أسفاري
وسنين اغترابي
شقاء العمر
اغتراب الروح
وحصاد السنينْ

قلت لها يا قلبُ
أنا ذكريات طفولة عُدبتْ
روحٌ مُسالمةٌ سُردتْ
في الوطن
في الغربية
أضطهدتْ
أينما ذهبتْ

وحيثما حلّتْ
سُجِنَتْ

أنا تاريخ أمينُ
أروي حكايات أجدادي
إغتصاب وطني
وضياع أمجادي
أصف الظلم على أرضي
وأرسم الأمل في عيون أحفادي

أنا قلمٌ جريءُ
يكتبُ ليعترفُ
لتاريخٍ علّه يعترفُ
يُنصفنا يوماً
وينصرفُ

أنا شاعر
أرثي وطناً
تمزقَ إرباً إرباً
شعوباً عريقةً غريقةً
لا تعرف لها مأوى
ولا هرباً

أرثي ثقافة عتيقةً شاختُ
أوطاناً كثيرة تاهتُ
المجدُ فيها تراث
الشعر فيها نُواح

والحب في القلب أنينٌ
الحلم فيها طفل يتيم
والطفل فيها مظلوم حزينٌ

أسماء حُسنى
شاخت في ذاكرتي
تبعثرت في دفاتري
تاقت في عناويني
تشتت بعد أن تعطرت
كزهرة الحنون
في حقول فلسطين

د. محمد ربيع

www.yazour.com